مبدأ التعاون عند غرايس في مقاله (المنطق والمحادثة) دراسة تداولية في الخطاب القرآني (خرق قاعدة الملاءمة أنموذجاً)

Grice's Principle of Cooperation in His Article "Logic and Conversation": A Pragmatic Study of Quranic Discourse Breach of the Rule of Convenience as a Model

أ.م.د. جنان سالم محمد البلداوي

Dr. Jinan Salem Muhammad Al-Baldawi

جامعة سامراء / كلية الآداب

University Samarra/College of Arts

E-mail:Jinan.salim@uosamarra.edu.iq

الكلمات المفتاحية: الاستلزام الحواري؛ المخصص؛ الملاءمة، غرايس، الغرض التداولي.

Keywords: Conversational Implication; Specificity; Appropriateness; Grice; Pragmatic Purpose.

الملخص

اعتنى البحث بدراسة دينامية لغة الحوار القرآنيّ بآلية الخرق التي اعتمدها بول غرايس(Herbert paul Grise) في نظريته (الاستلزام)(implicature) في مقاله (المنطق والمحادثة Logic and conversation)، وقد اختص هذا البحث بدراسة خرق قاعدة الملاءمة التي هي قسم من أقسام قواعد (مبدأ التعاون) في الاستلزام الحواريّ المخصّص عنده ، وتوصلنا الى أنّ هذا الخرق إنّما يُوجد في القرآن الكريم لأغراض تداولية عدة؛ فتارة يتم لإيصال معنى أدق من الرفض وهو الاستحالة، ـ فيما إذا طلب المتكلم طلبًا ما من المخاطب ـ وأخرى لحكمة غيبية يريد الله تعالى إخفاءها الى نهاية الحوار، وأخرى لإظهار تمام الطاعة في الظروف كلها ، أو للإبهام تحرجًا من المخاطب أو السائل أو طرف آخر سامعًا لهما. للمتكلم والمخاطب ـ خوفًا منه، أو ربما تأدبًا منه، أو رفقة به، وقد يتم الخرق أيضًا لرفض الإقرار بالخطأ ، أو تأييس المخاطب، وذلك بحسب ماعُرف من سياق المحاورة أو غرض سؤال المتكلم كالتكذيب والاستهزاء، أو تحقق الهدف في الأخير وهو الاستجابة، أو لغرض التأنيب والتوبيخ.

Abstract

This research focused on studying the dynamics of the language of Quranic dialogue, using the mechanism of breach adopted by Herbert Paul Grise in his theory of "implicature" in his article "Logic and Conversation." This research focused on the study of breaches of the rule of appropriateness, which is a subset of the rules of the "principle of cooperation" in his specific conversational implicature. We concluded that this breach occurs in the Holy Quran for several communicative purposes. Sometimes, it occurs to convey a more subtle meaning than rejection, namely impossibility, if the speaker makes a specific request of the addressee. Other times, it occurs for a hidden wisdom that God Almighty wants to conceal until the end of the dialogue. Other times, it occurs to demonstrate complete obedience in all circumstances, or to create ambiguity due to embarrassment from the addressee, the questioner, or another party listening to them—both the speaker and the addressee—out of fear of them, or perhaps out of politeness, or to be kind to them. It may also occur to refuse to acknowledge a mistake or to discourage the addressee, depending on the context. What is known from the context of the conversation or the purpose of the speaker's question, such as denial and mockery, or the ultimate goal of responding, or for the purpose of reprimanding and rebuking.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصـــلاة والســـلام على حبيب آله العالمين الخاتم الأمين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم وصحبه المنتجبين) .

أمّا بعد ...

فيهدف البحث الى الكشــف عن المعاني المضــمرة التي يقصــدها المتكلم في الخطاب القرآني خارجًا فيه عن استراتيجيات التواصل البشري لأغراض تداولية معينة، مما يدفع المخاطب الى البحث عن تفسير أو تأويل لقول المتكلم بناء على المعرفة المشتركة والتعاون بين الطرفين ؛ وذلك بمراحل من الاسـتدلال للوصـول الى المعنى المسـتلزم في التحليل الحواريّ القرآنيّ، موافقة لما تقوم عليه نظرية غرايس.

وبناء على ما تقدّم قسمنا البحث على ثلاثة أقسام تسبقها توطئة وتلحقها خاتمة :

توطئة : (الاستلزام الحواري وخرق قاعدة الملاءمة)

القسم الثاني: الاستلزام الحواري المخصّص البسيط المتولّد من خرق قاعدة الملاءمة

القسم الثاني: الاستلزام الحواري المخصّص المركّب المتولّد من خرق قاعدة الملاءمة

القسم الثاني: الاستلزام الحواري المخصّص الخفي المتولّد من خرق قاعدة الملاءمة

توطئة : (الاستلزام الحواري وخرق قاعدة الملاءمة)

إنّ مما انفرد به هابرت بول غرايس (Herbert paul Grise) عن الباحثين التداوليين ممّن سبقه في نظريته في (الاستلزام) (Implicature) في مقولته المشهورة (المنطق والمحادثة Logic and conversation)، هو امتثاله لاســـتراتيجية جديدة في التواصـــل اللغوي، تلك الاستراتيجية التي أعطت «حيزًا واسعًا للظواهر الاستدلالية بعدما أهملها منظّرو الأعمال اللغوية» (روبول و موشـــلر ، ٢٠٠٣، ص٥٢)، وفضـــلًا عن ذلك ارتكازه بدرجة كبيرة على قدرتين، لم ينصفهما هؤلاء المنظرون: القدرة على اكتساب حالات ذهنية، والقدرة على نسبتها إلى الآخرين، وبيّن غرايس كما سنرى أنَّ القدرة على تأويل الأقوال بكيفية تامة، ومرضية رهنٌ بهاتين القدرتين، وخصوصًا بالقدرة الثانية (روبول و موشلر ،٢٠٠٣، ص٥٢)، هذا ما دعا إلى أن يكون الاستلزام من الاتجاه المعرفي للتداولية، أو العرفني (موشـــلر و ريبول، ٢٠١٠، ص٨٣)، على ما يطلق عليه، لا من اتجاه الاعمال اللغوية وفقًا لســـيرل؛ وذلك لأنّ الأخيرة من الاتجاه المدمج لديكرو، الذي لا يقتصـــر على الفهم التأويلي الاســـتدلالي للمخاطب، بل يأخذ بعين الاعتبار الدلالة التركيبية والوضعية للجمل والكلمات المكونة لها(موشلر و ريبول، ٢٠١٠، ص١٥ ــ ٨٣)، وهذا الاتجاه الذي اتخذه غرايس بات نقلة نوعية، بدأ به عهدًا جديدًا في علم الاســتعمال، فأســهم في إثراء فلســـفة اللغة، مؤكدًا أنَّ اللغة ظاهرة اجتماعية (موشـــلر و ريبول، ٢٠١٠، ص٦١٨)،

خاضعة لاستراتيجية يقصدها المتكلم، قد تكون تلميحية، يؤيده فرانثيسكويوس راموس: ((يسجّل غرايس تقدمًا واضحًا في الدراسات التقليدية لفلسفة اللغة، عندما يربط مدلول الخطاب بالقصد المحدد الذي يعطيه المتحاورون لهذا المدلول في خطاباتهم)) (راموس، ٢٠١٤، ص٦٧)، ذهب غرايس في نظريته في (الاستلزام) الى((أنّ المتكلم قد يقصد أكثر مما يقول، وأنّ المخاطب قد يفهم أكثر مما يسمع معتمدًا في ذلك على قدرته على التأويل)) (نحلة،٢٠١١، ص٣٣)، مقسِّمًا إيّاه على قسمين؛ أولهما: الوضعي، والآخر غير الوضعي، وقسّم الأخير أيضًا على قسمين:
أولًا: الاستلزام الحواريّ المعمّم (Generalized Conversaional Implicature).

ثانيًا: الاستلزام الحواريّ المخصّص (Particularized conversational implicature)
(غرايس،٢٠١٢، ج٢/ ٦١٨، ٦٣٣)

وكان موضع عناية غرايس هو الثاني منهما، فعرّفه قائلًا: هو((قسم مرتبط أساسًا بوجود عدد من السمات العامة للخطاب)) (غرايس،٢٠١٢ ،ج٢/ ٦١٨)، وعرّفه فرانثيسكويوس راموس بأنّه: ((رسالة مضمرة ذات معنى أعمق من المعلومة القضوية المباشرة للخطاب بحسب خصائص السياق، مقام الكلام، والمعرفة المشتركة ..)) (راموس، ٢٠١٤ ، ص١٦) .

قام الاستلزام الحواريّ المخصّص عند غرايس على مبدأ التعاون (principe decooperation): الذي حكى عنه مقولته المشهورة : ((لتكن مساهمتك في المحادثة موافقة لِما يتطلبه منك ـ في المرحلة التي تجري فيها ـ ما تمّ ارتضاؤه من أهداف أو وجهة للمحاورة التي اشتركت فيها)) (غرايس، ٢٠١٢ ، ج٢/ ص٦١٢)، وبنى هذا المبدأ على أربع قواعد: (قاعدة الكم Maxim of quantite، وقاعدة الكيفMaxim of qualite، وقاعدة المناسبة Maxim of relation، وقاعدة الوضوح Maxim of Manne)، وذهب الى أنّ الاستلزام الحواري يتولّد بخرق إحدى قواعد هذا المبدأ، مفترضًا أن يكون كلّ من المتكلم والسامع عارفًا بضوابط هذا المبدأ ومحترمًا لقواعده الأربع، حتى يتمكن من التأويل وانجاح استمرار المحادثة.

ولتوضيح وجود هذه القواعد لابد من التمثيل بما يأتي :

أ ـ الزوج : أين مفاتيح السيارة ؟

ب ـ الزوجة : على المائدة .

نلحظ هنا أنَّ الزوجة قد حققت جميع مبادئ الحوار ، إذ أجابتْ بالقدر المطلوب ، وكانت إجابتها صادقة ، وواضحة ، وذات صلة بالموضوع ؛ ولذلك لم يتولد عنها استلزام .

وبخلاف هذا المثال المحاورة بين (أ) و(ب) :

أ ـ هل يمكنك أن تقول لي ، كم الساعة ؟

ب ـ حسناً ، اللّبان قد حضر.

إنّ إجابة (ب) بهذا الشكل خرقٌ لقاعدة المناسبة ، إذ لا علاقة بين السؤال والإجابة ، ولكنّ لمّا لم يستطع (ب) تحديد الوقت ، أو لم يتذكره أجاب بهذا الشكل ، وهو مسلِّم بأنَّ المخاطب سيفهمه، وعليه استلزم من (أ) أن يؤول قول (ب) حتى يؤمن استمرار التواصل؛ إذ أراد أنّه لا يعرف الوقت بدقة ، ولكنه يتزامن والوقت الذي حضر فيه اللبان (نحلة،٢٠١١ ، ص٣٦)؛ ولذا وقال غرايس فيه: ((أستطيع الآن ضبط مفهوم الاستلزام المحادثي: إن قام شخص ما باستلزام (ض)، عندما قال (في المكان والزمان) القضية (ق) ــ أو أوهم بذلك ــ فإنّه يعتبر قائمًا باستلزام محادثي شريطة:

١. افتراض أنّه يراعي قواعد المحادثة، أو على الأقل ((م . ت)).
٢. افتراض أنّه يعي، أو يرى أنّ (ض) مستلزمة، حتى يكون قوله (ق) أو ما يوهم أنّه قول(ق)(أو ما يفعله بهذه العبارات) متوافقًا مع هذا الافتراض.

أن يعتقد القائل (وهو يودّ توقع أنّ المخاطب يعتقد أنّ القائل يعتقد) أنّه ممّا يدخل ضمن كفاءات المخاطب أن يتدبر أو يدرك حدسيًا أنّ الافتراض الوارد في(٢) ضروري (غرايس، ٢٠١٢ ، ج٢/ ٦٢٤)، ولأجله عرّف غرايس هذا الاستلزام قائلاً : هو ((قسم مرتبط أساساً بوجود عدد من السمات العامة للخطاب)) (غرايس، ٢٠١٢ ، ج٢/ ٦١٨) ، ووضع أيضًا المعطيات الواجب توافرها عند المرسل إليه للكشف عن الاستلزام الحواري (غرايس، ٢٠١٢ ، ج٢/ ٦٢٥):

١. المعنى الوضعي للكلمات المستعملة التي تكون كمعلومات أولية تساعد المرسل إليه الوصول الى الاستلزام.
٢. مراعاة مبدأ التعاون وقواعده .
٣. السياق وملابساته غير اللغوية .
٤. معطيات أخرى متعلقة بالإمكانية المعرفية المسبقة للمرسل إليه .
٥. افتراض توافر جميع المعطيات ذات الصلة المذكورة لدى جميع المشاركين في المحادثة مع علمهم بهذا كله .

أسند غرايس الاستلزام الحواري المخصص على مبدأ التعاون القائم على قواعد أربع (غرايس، ٢٠١٢ ، ج٢: ٦١٩) :

١. قاعدة الكم (Maxim of quantity) :

((وتهم (تُعنى) مقولة الكم كمية المعلومات التي ينبغي توفيرها)) ، وأراد به اعطِ المعلومات بالقدر الكافي من دون زيادة ولا نقصان ، وتتفرع منها قاعدتان أساسيتان :

أ ـ ((لتكن مساهمتك متوفّرة على قدر من المعلومات يساوي ما هو مطلوب)) ، بمعنى :لا تعطِ معلومات تقل عمّا هو مطلوب بالنسبة الى المقاصد الراهنة للمحاورة .

ب ـ ((لا تجعل مساهمتك متوفرة على قدر من المعلومات يفوق ما هو مطلوب)) .

ومثّل لهما بقوله : ((إذا ساعدتني على إصلاح سيارة فإني أتوقع ألّا تقل مساعدتك أوتفوق ما هو مطلوب منك ، وإذا احتجت في مرحلة معينة الى أربعة براغ ، فإنّي أنتظر أن تمدني بأربعة براغٍ وليس باثنين أو ستة)) (غرايس، ٢٠١٢ ، ج٢/ ٦٢١).

٢. قاعدة الكيف أو النوعية (Maxim of quality) :

قال غرايس : ((لتكن مساهمتك في الموضوع صادقة)) (غرايس، ٢٠١٢ ، ج٢/ ٦١٩)، وأراد به لا تقل الكذب أو ما ليس لك به حجة أو برهان ، وتتفرع أيضاً على قسمين :

أ . ((لا تقل ما تعتقده أنّه كَذِب)) .

ب . ((لا تقل ما تفتقر الحجة الكافية عليه)) .

وبيّن غرايس هذا بقوله : ((أتوقع أن تكون مساعدتك فعلية وليست ماكرة ، فإذا احتجت الى مادة السكر لإعداد كعكة حلوى تساعدني فيها فأنّي لا أتوقع أن تعطيني ملحاً ، وإذا احتجت في إعدادها الى ملعقة ، فإنّي لا أتوقع أن تمدني بملعقة من المطاط)) (غرايس، ٢٠١٢ ، ج٢/ ٦٢١).

٣. قاعدة العلاقة أو المناسبة أو الملاءمة : (Maxim of Relation) : ((قل ما له صلة بالموضوع)) ، وأراد بها لا تخرج عن الموضوع في إجابتك للمخاطب ، ومثّل لها غرايس بقوله : ((فإذا كنت في صدد خلط مواد لإعداد كعكة حلوى فإنّي لا أتوقع مدّي بكتاب مهم ، أو حتى مدّي بقفاز الفرن (وإن كان هذا من المحتمل سيصبح مناسبًا في مرحلة لاحقة)..)) (غرايس، ٢٠١٢ ، ج٢/ ٦٢١).

٤. قاعدة الوضوح أو الطريقة (Maxim of Manner):((لتكن واضحاً)) .

وتتفرع على ثلاث قواعد :

أ . تجنب غموض العبارة

ب . تجنب اللبس .

ج . أُوجز ((تجنب الإطناب الذي لا موجب له)) .

د . كن منظماً .

ووضّحها غرايس بقوله : ((أعوِّل على أن يوضح لي شريكي كيفية مساهمته وأن يضع كفاءته موضع تنفيذ بسرعة معقولة)) (غرايس، ٢٠١٢ ، ج٢/ ٦٢١) .

وإنّما سمّى غرايس هذه القواعد بهذه التسميات إقتباساً من جدول الأحكام عند كانط (Kant)، ومنهم من قال اشتقّها من الوظائف المنطقية للذكاء التي وضعها كانط (رايص، ٢٠١٤ ، ص٢٠٦)، يؤيده قوله : ((واقتداءً بكانط أسمي هذه المقولات : الكم ....)) (غرايس، ٢٠١٢ ، ج٢/ ٦١٩) ، وهي مستمدة أساساً من منطق أرسطو(الأحمر، ٢٠١٠ ، ص٤٨)، يؤيده قول (ستيفن ك ليفنسون) : ((ولا يعد غرايس هذه المبادئ في الواقع أعرافاً جزافية ، بل بالأحرى وسائل عقلانية لإدارة تعاونية للمحادثة)) (لفينسون، ٢٠١٥ ، ص١٥٠).

وعلى وفق منهج غرايس في تقسيميه لأمثلة الاستلزام المخصّص على ثلاث مجاميع(غرايس، ٢٠١٢ ، ج٢/ ٦٢٦ ـــــ ٦٢٧)عمدتُ إلى تقسيم بحثي على ثلاثة أقسام ، ووسمتُ كل قسم باسم يلائمه على الرغم من أنّ غرايس لم يسمِّها ، فكان الأول: (الاستلزام الحواري المخصّص البسيط) ؛ وذلك لأنّ الاستلزام فيه لا يحتاج الى سلسلة معقدة من الاستدلالات لوصول المخاطب الى المعنى الضمني بخلاف قسيميه الآخرين ، إذ أطلقتُ على الأول منهما (الاستلزام الحواري المخصّص المركّب) ، وعلى الثاني (الاستلزام الحواري المخصّص الخفيّ) ، كلّ بحسب تطلبه من مراحل الاستدلال.

القسم الأول: الاستلزام الحواري المخصّص البسيط المتولّد من خرق قاعدة الملاءمة

مثاله:

أ ـ يبدو أنّ خالدًا ليس له صديق هذه الأيام .

ب ـ لقد زار مؤخراً بغداد .

الظاهر إنّ قول (ب) خرق مبدأ الصلة أو المناسبة ؛ ولأن (أ) افترض احترام (ب) لمبدأ التعاون استدل على أنّ لـ (خالد) صديق في بغداد .

الوحدة الحوارية الأولى:

(أ) قال تعالى على لسان بعض الضعفاء من أهل النار محاورين سادتهم : ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذابِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (سورة إبراهيم: ٢١).

(ب) قال تعالى على لسان سادتهم : ﴿ لَوْ هَدانَا اللهُ لَهَدَيْناكُمْ سَواءٌ عَلَيْنا أَجَزِعْنا أَمْ صَبَرْنا ما لَنا مِنْ مَحِيصٍ﴾ (سورة إبراهيم: ٢١).

بحسب المتعارف إنّ المتكلم إذا ابتدأ بأداة استفهام يتوقع أن يجيبه المخاطب بـــ(نعم) أو (كلا)، ولكن الذي جرى أنّ (ب) لم يجيبوا بالرفض بـــ (لا) ، أو بقولهم أنّنا لا نملك أن نغنيكم عن العذاب بصورة مباشرة ؛ لذا عُدّ خرقًا لقاعدة المناسبة ، ولكن على افتراض تحقيق مبدأ التعاون وعلم (أ) على وفق المعرفة المشتركة للواقع الذي يشهدونه كلاهما آنذاك ، ولاسيما أنّ الاستفهام الصادر منه غير حقيقي ، إنّما هو للتوبيخ ولتبكيت أسيادهم ؛ لأنّهم قد يئسوا منهم ، فاستلزم هنا أنّ يفهم (أ) أنّ المعنى الضمني والغرض التداولي لِما قاله(ب) هو الرفض مع ما ((يبدو فيه من البرم والضيق)) (قطب، ٢٠٠٤ ،ج٤/ ٢٠٩٦) ؛ وذلك لعدم التمكن من القيام بفعل ما آنذاك ؛ إذ أرادوا أنّهم لو كان بإمكانهم تقديم النفع ورفع بعض العذاب عن غيرهم لنفعوا أنفسهم أولاً ، فلا ينفع شفاعة أحدهم في الآخرة لمن أغواه وفتنه في الدنيا، وأنّهم ملاقوا المصير المقرر لهم قطعاً ، ومنه يُعلم أنّ ((التبادل السيميائي ليس مجرد آلية تتبع توالي البث من قبل عنصر واحد دون علاقة ترابطية ، وإنما هي عملية إنتاجية ـ كما ترى كرستيفا بخصوص المعنى ـــــ قوامها التفاعل الذي يمكّن شركاء التبادل السيمائي من الوصول الى صيغة مشتركة بعد أن يُتعرف الى مجمل الآراء)) (يوسف، السيمائيات التداولية من البنية الى السياق، ٢٠١٤ ، ص٤٥) ، إذن هناك فرق بين ماقيل (الدلالة اللغوية التواضعية للجملة) وما تمَّ نقله ، أو ما تمَّ تبليغه (تأويل القول) ، فالدلالة هي ما قيل ، والاستلزام الخطابي هو ما تمّ تبليغه ، وهذا يختلف عن ذاك (روبول و موشلر ، ٢٠٠٣ ، ص٥٦).

الوحدة الحوارية الثانية :

(أ) قال تعالى على لسان النبي موسى (عليه السلام) محاورًا العبد الصالح : ﴿لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾ (سورة الكهف : الآية : ٧٧) .

(ب) قال تعالى على لسان العبد الصالح (عليه السلام) : ﴿قالَ هذا فِراقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ... ﴾ (سورة الكهف: الآية: ٧٨) .

في الواقع إنّ أروع ما نصّـــه القرآن من الحوارات هو الحوار الجاري بين موســـى (عليه السلام) والعبد الصالح ، وذلك بعد أن طلب موسى (عليه السلام) مرافقته واتفقا على ألّا يسأله عن سبب أيّ فعل يقوم به : ﴿**قالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً** ﴾ (سورة الكهف: الآية: ٧٠)، فمضى الاثنان فيما اتفقا عليه ، إلا أنّ موسى لم يطق الصمت أمام ما رآه من الأحداث التي تستفز الضمائر في ظاهرها ، المجهولة الحكمة في داخلها ، فكان كلّما فعل شـــيئاً العبد الصـــالح ســـأله عن علة ذلك ، وذلك ما حكاه تعالى في الموقف الأول وهو(خرق سفينة المساكين) : ﴿**قالَ أَخَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً** ﴾ (سورة الكهف : الآية : ٧١) ، فأجاب العبد الصالح : ﴿**أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً**﴾ (سورة الكهف : الآية : ٧٢)، واعتذر هنا موسى(عليه السلام) قائلاً : ﴿ **لا تُؤاخِذْنِي بِما نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْــراً**﴾ (ســورة الكهف : الآية : ٧٢) ، واســتمرت هذه الحال حتى وصـــلا الى الموقف الأخير قال موسى(عليه السلام) للعبد الصالح في إقامته لحائط في قرية رفضت ضيافتهما : ﴿**لَوْ شِـئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً**﴾(سورة الكهف : الآية : ٧٧)، فردّ عليه قائلاً : ﴿**هذا فِراقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ**﴾، ولو تأملنا هذا الرد نجد أنّه لا توجد مناسبة بين السؤال وقول العبد الصالح ، ولكن مع افتراض مبدأ التعاون وافتراض المعرفة المشـــتركة بين الطرفين وعلم الطرف الثاني بنص الاتفاق استلزم منه أن يفهم أنّ العبد الصالح إنّما كان قصده أنّه لم يشأ أن يبلغه السبب لحكمة غيبية أراد الله تعالى إخفاءها الى نهاية القصة ؛ إذ ((إنّ القوة الغيبية لتتحكم في القصة منذ نشأتها)) (قطب، ٢٠٠٤ ، ج٤/ ٢٢٨١) ، وقوله هذا إنما يجب أن يكون من سؤاله الأول ، ولكنه أعطاه فرصاً كثيرة ، ومنه يُعلم ((أنّ المشاركة في الرأي كانت هي من الأسباب التي أدت الى طول نفس الحوار من جهة والى تقريب بعض وجهات النظر في بعض الحوارات الحاســـمة من جهة أخرى)) (نظيف، ٢٠١٠، ص١٤٩).

القسم الثاني: الاستلزام الحواري المخصّص المركّب المتولّد من خرق قاعدة الملاءمة

يحصل الاستلزام الحواري المخصّص المركّب* فيما لو خُرقتْ قاعدة ما من قواعد مبدأ التعاون احترازاً من خرق قاعدة أخرى ، وهذا الخرق في الأولى لا يؤدي الى التناقض مع الثانية ، قال غرايس : ((وفيها مثال تُخرق فيه قاعدة ولكن هذا الخرق لا يُفسّر بافتراض أنّ هذه القاعدة تناقض قاعدة أخرى)) (غرايس، ٢٠١٢، ج٢/ ٦٢٦) ، وسنقسمه على ثلاثة أقسام أيضًا :

أولاً : خرق قاعدة الملاءمة من أجل عدم خرق قاعدة الكم :

الوحدة الحوارية الأولى:

(أ) قال الله تعالى بلسان بلقيس مخاطبة حاشيتها : ﴿ يا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قالَتْ يا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي ما كُنْتُ قاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾ (سورة النمل: الآية: ٢٩ .٣٢).

(ب) قال الله تعالى بلسان حاشية بلقيس : ﴿ قالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي ماذا تَأْمُرِينَ﴾ (سورة النمل: الآية: ٣٣).

حكى لنا تعالى في هذا الحوار قصة سليمان (عليه السلام) مع ملكة سبأ عندما أرسل سليمان(عليه السلام) إليها وقومها رسالة دعاهم فيها الى توحيد الله تعالى ، سارداً تعالى موقفها من تلك الرسالة ومعالجة أمرها ، مبيّناً أنّها لم تتخذ موقفاً لوحدها بل تركت الأمر لمشورة حاشيتها، ولكن جوابهم في الواقع خرق لقاعدة الملاءمة أو المناسبة ؛ إذ كان من المتوقع أن يكون جوابهم بالقبول أو الرفض أو ترك الأمر لها مباشرة ، ولكن أجابوا بهذه الاستراتيجية حتى يُؤمّنوا قاعدة الكم فيعطوا المعلومات الكافية ، وعليه مع افتراض مبدأ التعاون وعلم بلقيس أنّ موقفهم أيّاً كان سيتطلب منهم تزويدها بقدراتهم المادية والمعنوية ؛ إذ ((المراد ـــ ﴿**أُولُوا قُوَّةٍ**﴾ ـــ قوة الأجسام وقوة الآلات (والعدد)، والمراد بـ ﴿**وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ**﴾ . النجدة (والثبات) في الحرب)) (الرازي، ٢٠٠٠، ج١٢/ ٣٠) استلزم منها أن تفهم أنّ تصدير هذه العبارات في جوابهم يعني إعطاء المعلومات الكافية وبيان إمكانياتهم آنذاك ؛ إذ التواصل في التداولية هو : ((إشراك شخص (أو هيئة (organisme) مموضع في فترة ما في نقطة معينة ـــ في تجارب منشّطة لمحيط شخص آخر أو نسق آخر مموضع في فترة أخرى ومكان آخر عن طريق استعمال عناصر المعرفة المشتركة بينهما (تجربة عوضية))) (أ. مولز، ك.زيلتمان، و ك.أوريكيوني، ٢٠١٤ ، ص٦)، يؤيده تصريحهم بالطاعة فيما بعد ، وحاصل جوابهم أمران : أحدهما : إظهار القوة الذاتية والعرضية ليُظهر إنّها إن أرادتهم للدفع والحرب وجدتهم بحيث تريد ، والآخر قولهم : ﴿ **والأمر إِلَيْكِ فانظرى مَاذَا تَأْمُرِينَ**﴾ ، وفي ذلك إظهار الطاعة لها إن أرادت السلم ، ولا يمكن ذكر جواب أحسن من هذا ، والله أعلم (الرازي، ٢٠٠٠، ج١٢/٣٠).

ثانيًا : خرق قاعدة الملاءمة من أجل عدم خرق قاعدة الكيف :

نحو : قول أحدهم لابنه : هل قمت بتنظيف أسنانك ؟

الابن : لا أشعر بالنوم ..

إن من المتعارف أن يجيب الابن بـــ (نعم) أو (لا) في مثل هكذا أسئلة ، ولكن إجابته بهذه الاستراتيجية خروج عن الموضوع ، فخرق بهذا قاعدة المناسبة ، ولكن مع افتراض مبدأ التعاون وافتراض المعرفة المشتركة بين الطرفين المتفق فيها على أنّ من عادة الإنسان أن ينظف أسنانه قبل النوم استلزم من الأب أن يفهم أنّ الابن لم ينظف أسنانه ، بمعنى أنّ الابن قد خرق قاعدة المناسبة حتى لا يخرق قاعدة الكيف ؛ إذ إنّه لو أجاب بما هو متعارف لاضطر الى الكذب خوفاً من أبيه .

ومثاله في القرآن الكريم ما يأتي :

الوحدة الحوارية الأولى :

(أ) قال الله تعالى بلسان ملك مصر مخاطبًا النسوة : ﴿ ما خَطْبُكُنَّ إِذْ راوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾ (سورة يوسف: الآية:٥١) .

(ب) قال الله تعالى بلسان النسوة : ﴿ حاشَ للهِ ما عَلِمْنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾(سورة يوسف: الآية:٥١).

(ج) قال الله تعالى بلسان امْرَأَةُ الْعَزِيزِ : ﴿ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (سورة يوسف: الآية:٥١) .

لمّا عمد ملك مصر الى إرسال الساقي الى يوسف (عليه السلام) لإحضاره من أجل تفسير الرؤيتين اللتين رآهما في منامه بعدما عجز الكهنة عن تفسيرهما ـــــ قال تعالى : ((وَقالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرى سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يابِساتٍ ..... وَقالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جاءَهُ الرَّسُولُ قالَ ارْجِعْ إِلى رَبِّكَ فَسْئَلْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾(سورة يوسف ٤٣ ـــ ٥٠) ـــ لم يستعجل يوسف (عليه السلام) بتلبية مطلبه على الرغم من أنّه يدرك أنّ هذه فرصته الوحيدة من أجل الخروج من السجن، بل طلب من الساقي أن يسأل الملك أولاً عن قصة النسوة معه ، وإنّما قدّم ((سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عمّا قُذف به وسجن فيه ، لئلا يتسلق به الحاسدون إلى تقبيح أمره عنده ، ويجعلوه سلماً إلى حطّ منزلته لديه ، ولئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين إلا لأمر عظيم وجرم كبير حق به أن يسجن ويعذب ويستكف شرّه)) (الزمخشري، دـــ ت، ج١/ ص٥٤٣) ، وهنا جمع الملك النسوة فسألهنّ عن مراودتهنّ ليوسف (عليه السلام) عن نفسه فكان جوابهنّ : ﴿**حاشَ للهِ ما عَلِمْنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ**﴾(سورة يوسف: الآية:٥١) ، والواقع إنّهنّ بهذا الجواب خرقْنَ قاعدة

المناسبة ؛ إذ يُفترض أن يكن الجواب بشكل مباشر بالاعتراف بالمراودة أو الإنكار ، أو الاعتراف على الشخص الذي قام بذلك ، ولكنّهنّ عمدنَ الى إثبات نزاهة يوسف (عليه السلام) ، فضلًا عن إثبات نزاهتهنّ بالعموم الذي دلّ عليه ﴿**حاشَ للهِ**﴾ ... (ابن عاشور، دـــ ت، ج١٢/ ص١٩٠ ـــ١٩١) في مقدمة الكلام ، وما فعلن ذلك إلا ليؤمّنَ قاعدة الكيف ؛ لأنهنّ إذا أجبن بشكل تفصيلي سيضطررن للكذب ، ابتعاداً عن التصريح بأنّ زليخا هي المذنبة ، ولاسيما بعدما عمدت الى جمعهنّ ، وأقرّتْ بذلك أمامهنّ واستدعتْ يوسف (عليه السلام) لتبرير فعلها الشنيع معه ، وهذا حجة لهُنَّ ، وإنّما فعلْنَ ذلك رأفة ومودة بزليخا ، أو ربّما خوفاً منها ، بدليل إنّ امرأة العزيز كانت من جملة النسوة اللاتي أحضرهُنَّ الملك ، وشملها كلامه حين قال : ﴿**إِذْ راوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ**﴾ ـــ وإن لم يشملها قول يوسف عليه السّلام : ﴿**ما بالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ** ﴾ ؛ إذ لم تقطّعْ يدها معهن ـ وذلك لأنّ المراودة وقعت من امرأة العزيز دون النسوة اللاتي أعدّت لهن متكئاً ، ومنهُ عُلم أنّ في الكلام إيجاز حذف (ابن عاشور، دـ ت، ج١٢/ ص١٩١)، وعليه استلزم من الملك أن يفهم أنّ هناك طرفاً مغطّى عليه في القضية هو المذنب ، وهو (زليخا) امرأة العزيز ، وإنّما لم يشملها يوسف (عليه السلام) بقوله ((تسهيلاً للكشف عن أمرها)) (ابن عاشور، دـــ ت، ج١٢/ ٢٨٩) ؛ لكونها لم تقطّع يدها معهنّ أو ربما تأدباً منه لسيدته ، ويؤيد ما قدمتُ حضورها واعترافها في ذلك المحضر بقولها : ﴿ **الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾: ((أي ثبت واستقرّ ، وهو من حصحص البعير إذا ألقى ثفناته للإناخة)) (الزمخشري، دـــ ت، ج١/٥٤٤) . قال الشاعر: **فَحَصْحَصَ في صُمِّ الصَّفَا ثَفَنَاتِه وَنَاءَ بِسَلْمَى نَوْءَةً ثُمَّ صَمَّمَا**

فضلًا عن ((تقديم المسند إليه على المسند الفعلي في جملة ﴿ **أَنَا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ**﴾ للقصر، لإبطال أن يكون النسوة راودنه ، فهذا إقرار منها على نفسها ، وشهادة لغيرها بالبراءة ، وزادت فأكّدت صدقه بـ (إنّ) واللام ...)) (ابن عاشور، دـ ت،ج١٢/ ٢٩١)، فالمعنى الحرفي : إثبات براءة يوسف والمتكلمات ، والمعنى الضمني : إثبات التهمة لغيرهم .

الوحدة الحوارية الثانية :

(أ) قال الباري تعالى محاورًا المشركين حكاية عن موقفهم يوم القيامة : ﴿أَيْنَ شُرَكائِي﴾ (سورة فصلت: الآية:٤٧).

(ب) قال الباري تعالى بلسان المشركين : ﴿ آذَنَّاكَ ما مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴾ (سورة فصلت: الآية:٤٧).

إنّ سؤال الباري تعالى﴿ **أَيْنَ شُرَكائِي**﴾ الموجه الى المشركين يوم القيامة متهكماً بهم يلزم منه أن يكون جوابهم آنذاك : (أخبرناك أنّه لا يوجد لك شريك) ، ولكنهم إن قالوا هذا فقد كذبوا ؛ لأنّه خلاف واقعهم في الدنيا ؛ ولذا عمدوا الى خرق قاعدة المناسبة فقالوا : أخبرناك بأنّنا لم يكن فينا

شهيد ، وظاهر هذا غير الأول ، وأرادوا أنّ اتهامنا بالإشراك يلزم أن يكون هناك شهيد يشهد على أنّنا قلنا بوجود الشريك ، ونحن قد أخبرناك خلافه ، ومنه استلزم أن يُفهم أنّ قولهم هذا ((كناية عن نفي أن يكون له تعالى شريك)) (الآلوسي، ٢٠٠٣ ، ج٢٥/ ص٥)، على أنّ ((صيغة الماضي في ﴿**آذَنَّاكَ**﴾ إنشاء، فهو بمعنى الحال مثل : بعْتُ وطلقتُ ، أي : نأذنك ونُقر بأنّه ما منّا من شهيد)) (ابن عاشور، ج٨/ ٢٥) ، ولاسيما بعد أن وقع العذاب حقيقة ، ومع افتراض مبدأ التعاون والكفاءة التداولية لدى الطرفين وعلم الله تعالى بحقيقة أمرهم ، فُهم أنّهم ما فعلوا ذلك إلا لأنّهم لا يريدون أن يقروا بخطئهم ، فإذا أقروا بضلال مدعاهم في الدنيا لا كلام بعده آنذاك ، فلمّا لم يريدوا الاقرار بشكل مباشر اكتفوا بذكر لازم الشيء وهو الشهادة ؛ إذ إنّ الاقرار بالخطأ يلزم وجود شهيد عليه ، قال الحارث بن حلزة :

آذنتْنـــا ببينـــها أَسمـــــــاءُ رُبَّ ثَـاوٍ يُمَـلُّ منـــهُ الثَّـــوَاءُ (الشنقيطي، ص١٣٥)

ومنهّ علم أنّ الاجابة عن السؤال ما هو إلا حكاية عن ذلك الاتفاق الضمني القائم على مبدأ التعاون الحواري بين المتخاطبين؛ ولذا جعل (Leech) من مميزات هذه القواعد (قواعد غرايس):

١. يتنوع استعمالها في سياقات مختلفة لاستعمال اللغة .
٢. تطبق بدرجات متنوعة ، أكثر ما يمكن أن تسمح به صيغة من قبيل كل شيء ، أو لاشيء .
٣. يمكن لبعضها أن يدخل في نزاع مع بعضها الآخر .
٤. يمكنها أن تُنتهك دون أن ينتقص ذلك من النشاط الذي تحكمه .

ومن الميزة الأخيرة استنتج (Leech) مستعملاً تسمية (سيرل) بأنّ القواعد تنظيمية (Regulativas) أكثر منها تكوينية (Constitutivas) ، بمعنى إنّها بعكس القواعد النحوية ، التي تشـــكل جزءاً لا يتجزأ من تعريف وظيفة اللغة ، فالقواعد ليســـت كذلك (راموس، ٢٠١٤، ص٨٢).

ثالثاً: خرق الملاءمة من أجل عدم خرق قاعدة الوضوح

(أ) قال الباري تعالى بلسان المكذبين بيوم البعث : ﴿ مَتى هذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ﴾ (سورة السجدة: الآية ٢٨).

(ب)قال الباري تعالى محاورًا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ (سورة السجدة: الآية ٢٨).

هنا موقف آخر من المواقف التي واجهت الرسـول محمد (صـلى الله عليه وآله وسـلم) وهو ينذر مشركي مكة ــ إذا بقوا على إصرارهم على الكفر بالله تعالى ــ بنزول العذاب عليهم ، ومجيء يوم الجزاء ، وهاهم يسـألونه عن ذلك اليوم الذي أطلقوا عليه بـــــ(يوم الفتح) بعدّه يوم

الفصل بين المتخاصمين وغلبة الجهة المنتصرة على الأخرى ، فكان جواب الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) بأمر من الله تعالى : ﴿**يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ**﴾ ، وهذا الجواب في الواقع لا يتناسب والسؤال عن موعد يوم الفتح ، ولكن على افتراض مبدأ التعاون والمعرفة المشتركة بين الطرفين وعلم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بأنّهم غير مريدين بسؤالهم هذا الاستفهام الحقيقي وإنمّا كان ((استعجالاً منهم على وجه التكذيب والاستهزاء)) (الآلوسي،٢٠٠٣ ، ج٢١/ ١٦٦) ، يؤيده أنّ استعمال((اسم الإشارة في ﴿**هذَا الْفَتْحُ** ﴾ مع إمكان الاستغناء عنه بذكر مبيّنهِ مقصود منه التحقير وقلة الاكتراث به كما في قول قيس بن الخطيم :

متى يأت هذا الموتُ لا يلف حاجة لنفسي إلا قَدْ قضيت قضاءها (بن الخطيم، د.ت) ص٤٩

...))

(ابن عاشور، دـ ت، ج٢١/ ص٢٤٣)عمد الى إجابتهم بخرق قاعدة المناسبة حتى يؤّمن قاعدة الوضوح كي لا يبقى مصيرهم غامضاً لديهم ، فكان جوابه(صلى الله عليه وآله وسلم) بحسب ما عرف من غرضهم ، فكأنه قيل لهم: لا تستعجلوا به ولا تستهزئوا فكأنّي بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الإيمان واستنظرتم في إدراك العذاب فلم تنظروا ، بمعنى : إفادتُهم هذه الموعظة خير لهم من تطلبهم معرفة وقت حلول يوم الفتح ؛ لأنّهم سيقولون يومئذ : ﴿**رَبَّنا أَبْصَرْنا وَسَمِعْنا فَارْجِعْنا نَعْمَلْ صالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ**﴾ **(سورة السجدة: الآية ١٢).**

هذا فضلًا عمّا في هذا الجواب من الإيماء إلى أنّ زمن حلوله غير معلوم للناس وأنّه مما استأثر الله به فعلى من يحتاط لنجاة نفسه أن يعمل له من الآن فإنه لا يدري متى يحلّ به ...)) (الآلوسي، ٢٠٠٣ ، ج٢١/ ١٦٦) ، ومن هنا عُلم أنّ الرسول أراد من يوم الفتح يوم القيامة ، وإنّما استعملوا هذا المفهوم إشارة وعلامة أو إحالة الى استعمالهم لهذا المصطلح في الدنيا وما يترتب عليه من الفلاح والنصر ؛ إذ ((كان المسلمون يتحدّون المشركين بأنّ الله سيفتح بينهم وينصرهم وتظهر حجتهم ، فكان الكافرون يكررون التهكم بالمسلمين بالسؤال عن وقت هذا الفتح استفهاماً مستعملاً في التكذيب حيث لم يحصل المستفهم عنه)) (ابن عاشور، دـــ ت، ج٢١/ ص٢٤٣) ؛ لذا قيل إنّ كل تفكير ، وكل إحالة ، إنّما هو تكيّف مرده الى سياقات سايكولوجية تربط عناصر في سياقات خارجية بعضها ببعض ، وبهذا يمكن أن نجعل تكيفاً ثانوياً لتكيف سابق علامة لجزء من التكيف أو ملازم له (أوغدن و رتشاردز، ٢٠١٥، ص٣١٤ـــــ ٣١٥)، ومنه يُعلم أنّ الله تعالى أمر رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ((في هذا الجواب سلوك الأسلوب الحكيم من وجهين : من وجه العدول عن تعيين يوم الفتح ، ومن وجه العدول بهم إلى

يوم الفتح الحق)) (ابن عاشـور، دـــــ ت، ج٢١/ ص٢٤٣)، فكأنّ المعنى المسـتلزم من جواب الرسـول (صـلى الله عليه وآله وسـلم) في هذا الحوار هو: التنبيه على تدارك أنفسـهم من الآن بـالإيمـان ؛ إذ لا يقبـل الله تعـالى إيمـانهم إذا جاء متـأخراً ، وموعد الفتح الحق لا يعلمـه إلا الله تعالى ، وخلاصة القول : الإشارة الى تيئيسهم من النصر على المسلمين إذا بقوا على ما هم فيه .

القسم الثالث: الاستلزام الحواري المخصص الخفي المتولد من خرق قاعدة الملاءمة

يتولد الاستلزام الحواري المخصّص الخفيّ من خرق أحد قواعد مبدأ التعاون ، وهذا الخرق يستدعي سلسلة من الاستدلالات لغايات مختلفة ذات صلة بالأغراض البلاغية ، قال غرايس في أمثلة هذه المجموعة التي وسـمتها بـــــ (الاسـتلزام الخفي) : ((وفيها أمثلة تنطوي على توظيف لإجراءٍ بموجبه تُزدَرَى قاعدة لغاية التوصـــل الى اسـتلزام محادثي بالتعويل على ظواهر من قبيل الوجوه البلاغية)) (غرايس، ٢٠١٢، ج٢/ ص٦٢٧) ، وقال سـتيفن ك لفينسـون : ((وتقوم هذه الاستدلالات على أساس الصـلابة الجدية بالملاحظة لغرض التعاون : حيث ينحرف شـخص ما بشـدّة وبشـكل درامي عن السـلوك الموافق للمبادئ ، فإنّ منطوقاته تُقام وبشـكل تعاوني على مستوى أعمق على نحو ممكن باستمرار)) (لفينسون، ٢٠١٥، ص١٥٧) ، نحو :

أ ـ دخلت (أ) للمكتب ووجدت عملاً كثيراً فقالت لـ (ب) : هل جُنَّ مديرك ؟

فأجابتْ(ب) : لنذهب ونتناول القهوة .

فيبدو من جواب (ب) أنّها خرقت قاعدة المناسـبة ، فاسـتلزم من (أ) أن يَفهم أنَّ (ب) لم ترد أن تجيب ، فلعلها لحظت هناك من يسـمعها وينصـت إليها ، فأرادت الخروج عن الموضـوع ، ((ورغم خرق بعض القواعد في مستوى ما قيل ــ فإنّه يُخوّل للمخاطَب افتراض أنّه تمَّ في مستوى ما هو مُســتلزم احترام هذه القاعدة ، أو على الأقل تمَّ احترام مجمل (م . ت)ـــــ أراد مبدأ التعاون...))(غرايس، ٢٠١٢، ج٢/ ٦٢٧).

وقد يأتي الردّ في هذا النوع من الاستلزام منقطع الصلة بالإجابة المتوقعة ، وكذلك قد يكون ((السـؤال لا يحتاج الى أن يُطرح من الأسـاس ؛ لأنّ الجواب واضـح للغاية)) (يول، ٢٠١٠، ص٧٦) نحو :

أ ـ هل ستشرق الشمس ليلاً ؟

ب ـ هل يمكنك رؤية الله تعالى ؟

إذ من المتعارف أن يجيب (ب) بـ (نعم) أو (كلا) ، ولكن اجابته بهذه الاستراتيجية التي خرج فيها عن الموضـوع فخرق قاعدة المناسـبة اسـتلزمت من (أ) أن يفهم أنّ (ب) متعاون وأنّه أراد (كلا) ، أو (بالتأكيد كلا) .

الوحدة الحوارية الأولى :

(أ) قال تعالى على لسان النبي أيوب (عليه السلام) : ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطانُ بِنُصْبٍ وَعَذابٍ﴾ (سورة ص: الآية:٤١).

(ب) قال الباري تعالى محاورًا النبي أيوب (عليه السلام) : ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هذا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وَشَرابٌ ﴾ (سورة ص: الآية:٤١).

في جو الابتلاءات والمحن التي مرّ بها النبي الأعظم محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) حكى الله تعالى له قصص الأنبياء من قبلِه ، والمحن التي مروا بها (عليهم السلام) ، ومجازاته تعالى لصبرهم بالحسنى والمقام الرفيع ، تسلية له وشدّاً لأزره (عليه السلام) ، فجاء هنا بقصة أكثر الأنبياء ابتلاءً وصبراً ، وهي قصة أيوب (عليه السلام) وما ابتلاه فيه ، ولو تأملنا التواصل الحواري التفاعلي الذي جرى بين الله تعالى وأيوب (عليه السلام) لنجد أنّه تميَز باستراتيجية دينامية رائعة ؛ إذ بين قوليهما بون كبير ، فبعد أن شكا أيوب (عليه السلام) حاله لربّه لم يصرح تعالى لأيوب (عليه السلام) لفظاً بأنّه سيستجيب لدعواه ومناجاته ويشفي جسمه وجوفه من المرض ، وإنَما أمره بركض الأرض برجله ـــــ بمعنى : تحريك الأرض أو ركلها وضربها (ابن منظور، ج٧/ ١٥٩) برجله ـ والاغتسال بالماء الذي ينبع منها ، والشرب منه (الزمخشري ، ج٢ / ١٠٣٨)، وهذا في الواقع خرق لقاعدة المناسبة ، ولكن مع افتراض مبدأ التعاون وعلم الله تعالى بأنّ أيوب (عليه السلام) سيفهم بأنّه إذا قام بهذه الخطوات سيشفى بإذن الله تعالى استلزم أن يفهم أيوب (عليه السلام) أنّ الله استجاب له بقوله

هذا، فكأن المعنى مرّ بثلاث مراحل من الاستدلالات :

أولاها: اركض الأرض برجلك فسينبع من تحتها ماء فاغتسل به ، واشرب منه .

ثانيها : فيبرأ باطنك وظاهرك .

ثالثها : الإيذان بأنّ هذا استجابة لدعائك (ابن عاشور ، ج٢٣/ ٢٧٠)، بدليل قوله تعالى في سورة الأنبياء : ﴿**فَكَشَفْنا ما بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْناهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَذِكْرى لِلْعابِدِينَ**﴾ (سورة الأنبياء: الآية:٨٤).

وما استنبط هذا التأويل إلا استناداً الى الكفاءة التداولية والحساسية المعرفية والجمالية المهيمنة على التلقي المحاقب لزمن الإنتاج ، فالمعنى الضمني المستلزم هنا هو الاستجابة ، ومنه تبيَن لنا أنّ ((لقاعدة الملاءمة أهمية كبرى ؛ لأنّها أداة يستخدمها المستمع لتأويل أقوال لا علاقة ظاهرة لها مع ما قيل من قبل خلال التبادل)) (راموس، ٢٠١٤ ، ص٩٣)؛ ولذا قال ايرا . نوفك وآن ريبول في بيان كيفية الطريقة التي نظم بوساطته غرايس الأسس الفلسفية للتواصل : فالانتقال من ((معنى الجملة الى معنى المتكلم يمكن توضيحه بالعملية الاستدلالية التي تؤدي

إليها توقع التزام المتكلم بهذه القواعد)) (نوفك و ريبول، ٢٠١٦، ص٧٥)، وعليه يمكن إدراج قول الله تعالى في الأفعال الكلامية غير المباشرة غير العرفية أو ما يطلق عليها بـ((أفعال كلامية معقدة Complex Speech))؛ لأنّ هذه الأفعال تتطلب سلسلة من الخطوات الاستدلالية ؛ ولأنّ الحقيقة هي أنّ خطة السلوك المحددة التي تشكل فيها هذه الأفعال خطوة سلوكية لا يمكن تحديديها بشكل مباشر تصرفي ، فالأمر الضروري يكمن في الخطوات الاستدلالية التي تشير بالمنطوق الى الخطة التي يعرضها الفاعل ، وهي المسؤولة عن الصعوبات الخاصة بفهم الأفعال الكلامية (بوسكو، ٢٠١٦،ص٧٥).

الوحدة الحوارية الثانية :

(أ)قال الله تعالى على لسان أخوة النبي يوسف (عليه السلام) : ﴿يا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنا بِبِضاعَةٍ مُزْجاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنا إِنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ (سورة يوسف: الآية ٨٨).

(ب) قال الله تعالى على لسان النبي يوسف(عليه السلام) : ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ ﴾ (سورة يوسف: الآية ٨٩) .

(أ) قال الله تعالى على لسان أخوة النبي أخوة يوسف (عليه السلام) :﴿ أَ إِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ﴾(سورة يوسف: الآية ٩٠).

(ب) قال الله تعالى على لسان النبي يوسف(عليه السلام) : ﴿أَنا يُوسُفُ وَهذا أَخِي قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة يوسف: الآية ٩٠)..

لمّا مسّ الجوع والقحط الكنعانيين رأى أولاد نبي الله يعقوب (عليه السلام) وبعض بني كنعان التوجه الى مصر بعد أن علموا أنّ عزيزها قد ادّخر ما يكفي من القمح لتلك السنين العجاف التي مرّوا بها ، وعند دخولهم مصر آنذاك علم يوسف (عليه السلام) بذلك فأمر حاشيته بضيافتهم ، وعند اللقاء طلبوا من يوسف أن يبيعهم القمح مقابل ما يملكونه من مبلغ زهيد (ابن عاشور، دـــ ت، ج١٣/ ٤٦)، ولكن لو تأملنا في إجابة نبي الله يوسف (عليه السلام) لنجد أنّه خرق قاعدة المناسبة ؛ إذ يُفترض أن يجيبهم بالموافقة على طلبهم أو عدمه ، ولكنّه (عليه السلام) سأل إيّاهم بأسلوب التوبيخ الشديد عمّا فعلوه في أخيهم يوسف (عليه السلام) ، وشتّان بين السؤال وبين جوابه، وعليه مع افتراض مبدأ التعاون، وافتراض المعرفة المشتركة بين الطرفين المتمثلة بعلم يوسف أنّهم سيفهمون ما يقولونه ، فقد استلزم منهم أن يفهموا أنّه رفض أن يبيعهم القمح ، وفي الواقع إنّ يوسف (عليه السلام) لم يمنع عنهم القمح ، لكن أراد أن يبيّن موقف أخوته معه أو يعلّن عنه بالتدريج لتنبيههم بخطئهم والضرر الذي لحق بأبيهم(يعقوب) عليه السلام بسببهم ، فأخفى عنهم أنّه يوسف ، وأنّه أخوهم ، وأنّه نبي الله عز وجل ؛ ولذا يمكن إدراج

حوار يوسف(عليه السلام) ضمن التداولية الإدراكية لكونها تُعنى بالعمليات الذهنية التي تصاحب التواصـل القصـدي ؛ إذ ((إنّ المعنى الحرفي للمنطوق معنى ضـروي ، لكنّه غير كافٍ بالنسـبة للشريك حتى يعيد بناء المعنى الذي يقصده الفاعل أو يفهم مقصده التواصلي ، فعلى الشريك أن يفهم لعبة السـلوك التي أختطها له الفاعل ، فلعبة السـلوك بنية اجتماعية يتشـارك فيها أطراف التفاعل الاتصالي)) (بوسكو، ٢٠١٦، ص٧٣) ، بدليل أنّهم بعدما عرفوا ذلك قالوا له : ﴿**أَإِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ**﴾ ، فأجابهم (عليه السلام) : ﴿**أَنَا يُوسُفُ وَهذا أَخِي قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ **(سورة يوسف: الآية ٩٠)**، فالمعنى الحرفي : السؤال عمّا فعلوه ، والمعنى الضمني التوبيخ والتعريض بقبح فعلهم مع أخيهم وأبيهم .

الخاتمة:

١. توصل البحث الى إمكان تقسيم الاستلزام الحواري المخصص بحسب قراءتنا لفلسفة لغة غرايس في أمثلته في مقاله(المنطق والمحادثة) على ثلاثة أقسام: البسيط والمركب والخفي وقد وسمنا هذه التقسيمات بهذه المسميات؛ وذلك بحسب مراحل الاستدلال التي يحتاجها المخاطب للوصول الى المعنى المستلزم. وقد أوضحناه في البحث.

٢. توصل البحث الى أنّ المتكلم قد يخرج عن موضوع المحادثة . بخرق قاعدة الملاءمة وفق غرايس . فلا يجيب المخاطب أو يحاوره حينئذ بطريقة مباشرة لغرض تداولي دقيق يريده إيصاله إليه بطريقة غير مباشرة.

٣. تتعدد الأغراض التداولية لخرق قاعدة الملاءمة في الخطاب القرآني؛ فتارة يتم الخروج عن موضوع المحادثة، أي الخرق لإيصال معنى أدق من الرفض وهو اليأس والاستحالة . فيما إذا طلب المتكلم طلبًا ما من المخاطب، أو قد يخرج المخاطب في جوابه عن سؤال المتكلم عن الموضوع لحكمة غيبية يريد الله تعالى إخفاءها الى نهاية الحوار، وذلك هو المخصص البسيط ، أمّا المخصص المركّب فتارة يكون فيه خرق الملاءمة لتأمين عدم خرق قاعدة الكم لغرض تداولي وهو إظهار تمام الطاعة في الظروف كلها ، وتارة أخرى لضمان عدم خرق قاعدة الكيف لغرض تداولي هو الإبهام تحرجًا من المخاطب أو السائل أو طرف آخر سامعًا لهما. للمتكلم والمخاطب . خوفًا منه، أو ربما تأدبًا منه، أو رفقة به، أو لغرض تداولي آخر وهو رفض الإقرار بالخطأ ، و قد يخرج أيضًا عن موضوع المحادثة لتأمين عدم خرق قاعدة الوضوح لغرض تداولي وهو التأييس وذلك بحسب ماعُرف من سياق المحاورة أو غرض السؤال كالتكذيب والاستهزاء ، أمّا القسم الثالث وهو الاستلزم المخصص الخفي فقد يخرج فيه المتكلم عن الموضوع لغرض تداولي وهو تحقق الهدف في الأخير وهو الاستجابة، أو لغرض التأنيب والتوبيخ.

المراجع:

الآلوسي، محمود. (٢٠٠٣). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . دار الفكر. لبنان.

ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. دار سحنون. تونس.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم . لسان العرب. دار صادر. بيروت.

الأحمر، قيصر. (٢٠١٠). معجم السيمائيات. الدار العربية للعلوم ناشرون. الجزائر.

أوغدن و رتشاردز. (٢٠١٥). معنى المعنى لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرمزية. ترجمة: كيان أحمد حازم. دار الكتاب الجديدة المتحدة. بيروت .

بن الخطيم، قيس . ديوان قيس بن الخطي. تحرير: ناصر الدين الأسد. دار صادر. بيروت.

بوسكو، ف. م. (٢٠١٦). التداولية الإدراكية. تأليف آفاق تداولية. ترجمة: منتصر أمين عبد الرحيم . دار كنوز المعرفة. عمان.

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر . (٢٠٠٠). التفسير الكبير. دار الكتب العلمية . بيروت .

راموس، فرانثيسكويوس. (٢٠١٤). مدخل الى دراسة التداولية(مبدأ التعاون ونظرية الملاءمة والتأويل). ترجمة: يحيى حمداي. دار نيبور.العراق.

رايص، نور الدين. (٢٠١٤). اللسانيات المعاصرة في ضوء نظرية التواصل . عالم الكتب الحديث. أربد.

روبول، آن و موشلر، جاك . (٢٠٠٣). التداولية اليوم علم جديد في التواصل. ترجمة: سعد الدين دغفوس و محمد الشيباني. دار الطليعة. لبنان.

الزمخشري، محمود بن عمر. (د. ت). الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . دار إحياء التراث العربي. لبنان.

الشنقيطي، محمد الأمين . المعلقات العشر. تحرير: أحمد الأمين. دار النصر.

غرايس، بول. (٢٠١٢). المنطق والمحادثة(مقالة) . إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين. ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين . بيت الحكمة . تونس.

قطب، سيد. (٢٠٠٤). في ظلال القرآن . دار الشروق . القاهرة.

لفينسون، ستيفن ك . (٢٠١٥). البراجماتية اللغوية .ترجمة: سعيد حسن بحيري. مكتبة زهراء الشرق .القاهرة.

موشلر، جان و ريبول، آن. (٢٠١٠). القاموس الموسوعي للتداولية . مراجعة: خالد ميلاد و إشراف: عز الدين المجدوب. دار سيناترا. تونس.

مولز، أ. وزيلتمان، ك و أوريكيوني، ك. (٢٠١٤). في التداولية المعاصرة والتواصل. ترجمة: محمد نظيف . دار أفريقيا الشرق.

نحلة محمود أحمد. (٢٠١١). آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. مكتبة آداب . القاهرة.

نظيف محمد. (٢٠١٠). الحوار وخصائص التفاعل التواصلي دراسة تطبيقية في اللسانيات التفاعلية. أفريقيا الشرق. المغرب.

نوفك، ايرا و ريبول، آن. (٢٠١٦). التداولية التجريبية دور جريس في دراسة اللغة. آفاق تداولية دراسات وبحوث مختارة. ترجمة: منتصر أمين عبد الرحيم . دار كنوز المعرفة. عمان.

يوسف، أحمد. (٢٠١٤). السيمائيات التداولية من البنية الى السياق. بحوث محكمة. جمع وتحرير: حافظ اسماعيلي علوي و منتصر أمين عبد الرحمن. التداوليات وتحليل الخطاب . دار كنوز المعرفة. عمان.

يوسف، أحمد. (٢٠١٦). السيمائيات التداولية بنياتها وحدودها دراسات في مشروع عبد اللطيف محفوظ السيميائي . دار كنوز المعرفة. الأردن.

يول، جورج. (٢٠١٠). التداولية . دار الأمان. الرباط.

References:

Al-Alusi, Mahmoud. (2003). The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Noble Qur'an and the Seven Mathani. Dar Al-Fikr, Lebanon.

Ibn Ashur, Muhammad Al-Tahir. Al-Tahrir wa Al-Tanwir. Dar Sahnun, Tunisia.

Ibn Manzur, Jamal Al-Din Muhammad ibn Makram. Lisan Al-Arab. Dar Sader, Beirut.

Al-Ahmar, Qaysar. (2010). Dictionary of Semiotics. Arab Scientific Publishers. Algeria.

Ogden & Richards. (2015). The Meaning of Meaning in the Effect of Language on Thought and in the Science of Symbolism. Translated by: Kian Ahmed Hazem. United New Book House. Beirut.

Ibn Al-Khatim, Qays. The Diwan of Qays ibn Al-Khattim. Edited by: Nasser Al-Din Al-Assad. Dar Sader, Beirut.

Bosco, F. M. (2016). Cognitive Pragmatics. Authored by Pragmatic Horizons. Translated by: Montaser Amin Abdul Rahim. Dar Kunuz Al-Ma'rifa, Amman.

Al-Razi, Fakhr Al-Din Muhammad ibn Umar. (2000). The Great Interpretation. Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah. Beirut.

Ramos, Francisco. (2014). Introduction to the Study of Pragmatics (The Principle of Cooperation, the Theory of Relevance, and Interpretation). Translated by Yahya Hamday. Dar Niebuhr. Iraq.

Rais, Nour El-Din. (2014). Contemporary Linguistics in Light of Communication Theory. Modern World of Books. Irbid.

Robole, Anne and Muschler, Jack. (2003). Pragmatics Today: A New Science of Communication. Translated by Saad El-Din Daghfous and Mohammed Al-Shaibani. Dar Al-Tali'ah. Lebanon.

Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Omar. (n.d.). Al-Kashaf 'an Haqa'iq Al-Tanzil wa 'Uyun Al-Aqawil fi Wujub Al-Ta'wil. Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi. Lebanon.

Al-Shanqeeti, Muhammad Al-Amin. The Ten Mu'allaqat. Edited by Ahmad Al-Amin. Dar Al-Nasr.

Grice, Paul. (2012). Logic and Conversation (Article). Perspectives on Linguistic and Semantic Theories in the Second Half of the Twentieth Century. Translated by a group of professors and researchers. Bayt al-Hikma, Tunisia.

Qutb, Sayyid (2004). In the Shade of the Qur'an. Dar al-Shorouk, Cairo.

Levinson, Stephen K. (2015). Linguistic Pragmatics. Translated by Saeed Hassan Beheiry. Zahraa al-Sharq Library, Cairo.

Muschler, Jean and Ripoll, Anne (2010). The Encyclopedic Dictionary of Pragmatics. Reviewed by Khaled Milad and supervised by Ezzedine al-Majdoub. Sinatra House, Tunisia.

Molls, A., Ziltman, K., and Oricioni, K. (2014). On Contemporary Pragmatics and Communication. Translated by Mohamed Nazif. Dar Africa al-Sharq.

Nahla Mahmoud Ahmed (2011). New Horizons in Contemporary Linguistic Research. Adab Library, Cairo.

Nazif, Mohamed (2010). Dialogue and the Characteristics of Communicative Interaction: An Applied Study in Interactional Linguistics. East Africa. Morocco.

Novk, Ira and Ripoll, Ann. (2016). Experimental Pragmatics: The Role of Grice in the Study of Language. Pragmatic Horizons: Selected Studies and Research. Translated by: Montaser Amin Abdel Rahim. Dar Kunuz Al-Ma'rifa. Amman.

Youssef, Ahmed. (2014). Pragmatic Semiotics: From Structure to Context. Refereed Research. Compiled and Edited by: Hafez Ismaili Alawi and Montaser Amin Abdel Rahman. Pragmatics and Discourse Analysis. Dar Kunuz Al-Ma'rifa. Amman.

Youssef, Ahmed. (2016). Pragmatic Semiotics: Its Structures and Limits: Studies in Abdul Latif Mahfouz's Semiotic Project. Dar Kunuz Al-Ma'rifa. Jordan.

Youl, George. (2010). Pragmatics. Dar Al-Aman. Rabat.